

# العلاقات السياسية بين الصليبيين والبحتريين في عصر الحروب الصليبية

إعداد

د. محمد محمد عبد الحميد فرحات

مدرس تاريخ العصور الوسطى

كلية التربية بالعريش

جامعة قناة السويس



كان على الصليبيين بعدما نجحوا في تأسيس إماراتهم الأربع في بلاد الشام -بعد الحملة الصليبية الأولى<sup>(١)</sup>- أن يتعاملوا مع جيرانهم المسلمين المحيطين بهم؛ إذ لم يكن يوسعهم العيش بمعزل عنهم، كما كان على المسلمين أيضاً أن يتعاملوا مع الوضع الجديد ويقيموا علاقات مع الصليبيين وفقاً لما عليه عليهم مقتضيات الأمر؛ لذا فقد قامت بين الجانبين علاقات مختلفة اتسمت بالعداء حيناً والسلم حيناً آخر. وقد أقام الصليبيون علاقات مع جيرانهم المسلمين سواء كانوا دولاً أو مدناً كبيرة أو حتى كيانات صغيرة حيثما وجئوا مصالحتهم. ومن أمثلة تلك الكيانات الصغيرة التي ارتبطت بعلاقات مع الصليبيين، البحريون<sup>(٢)</sup> الذين لعبوا دوراً هاماً على مسرح الأحداث السياسية في منطقة الشرق الأدنى الإسلامي إبان فترة الحروب الصليبية وأغفلته المصادر -سواء كانت عربية أو غربية- إغفالاً يكاد يكون تاماً، كما أنه لا يوجد بحث قائم بذاته يتناول بالدراسة والتحليل العلاقات الصليبية البحرية إبان تلك الفترة؛ لذا فقد وقع اختيار الباحث على هذا الموضوع ليكون هدفاً لهذه الدراسة التي جعلت عنوانها "العلاقات السياسية بين الصليبيين والبحريين إبان عصر الحروب الصليبية".

<sup>(١)</sup> تعرف الرها هي أول الإمارات الصليبية التي أسسها الصليبيون في الشرق الإسلامي ٤٩٧/١٠٩٧هـ، تليها إمارة أنطاكية في نفس العام، ثم إمارة بيت المقدس ١٠٩٩م/٤٩٦هـ، وأخيراً طرابلس ١١٠٩م/٥٠٣هـ.

<sup>(٢)</sup> بحر: يضم الباء وسكون الحاء للمهمله وضم التاء المثناة من فوق: بطن من طيء من القحطانية، وهم بنو بحر بن عمرو بن عيين بن سلمان بن نعل، والبحر في اللغة القصور المجتمع الخلق. ولزيد من التفاصيل عن نسبة البحريين راجع:

القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الإيباري، دار الكتاب المصري، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٨٠م، ص ١٧٣، صبح الأعمش في صناعة الإنشاء، ج١، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، للؤسسة المصرية العامة للتأليف والوجهة والنشر، ١٩٦٣م، ص ٣٢١، ابن حزم: جهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق عبد السلام هارون، ط ٤، دار المعارف، بدون تاريخ، ص ٤٠١، ٤٧٦، السريدي: سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، بيروت ١٩٨٦م، ط ١، ص ٢٤٠.

والجدير بالذكر أن المصادر العربية والغربية على حد سواء كانت ضئيلة للغاية على الباحث بتزويده بمادة تتعلق بهذا الموضوع، فنجد بعض المصادر أغفلت ذكر البحريين تماماً سواء كان ذلك تصريحاً أم تلميحاً، والبعض الآخر نجده يشير إليهم بمجرد إشارات سريعة مقتضبة، مما جعل مهمة الباحث جد عسيرة، ولعل صمت المصادر هذا يرجع إلى جهلها بالبحريين أو لصغر كيانهم بالمقارنة بغيرهم من الكيانات الكبيرة المحيطة بهم، أو لأنها استقلت الدور الذي قاموا به في تلك الحقبة رغم أن البحريين قاموا بدور هام إبان فترة الحروب الصليبية.

ويعتبر كتاب صالح بن يحيى المرسوم بـ"تاريخ بيروت وأمراء بني الغرب البحريين"<sup>(٣)</sup> من أهم المصادر العربية التي حوت مادة تاريخية عن هذا الكيان على قدر كبير من الأهمية لا نجد معظم مادتها في سواه من المصادر سواء كانت عربية أو غربية، ولذلك فهو يعتبر المصدر الأساسي الذي استمدت منه تلك المصادر معظم ما كتبه عن البحريين. ولم يكن قصد صالح بن يحيى عندما وضع كتابه هذا سرد الأحداث التاريخية وكتابة تاريخ عام بقدر ما كان يهدف إلى تسجيل مآثر أسلافه وأجدادهم حتى يقف عليها الخلف وتوارثها الأجيال جيلاً بعد جيل. وقد أوضح ذلك في مقدمة كتابه، وذكر أنه تصبر هذه المذكرات على أهل بيته فقط «لا تخرج عن الخلف ولا تعار لغيرهم» على حد قوله<sup>(٤)</sup>.

وبما أن كتاب صالح بن يحيى يعتبر المصدر الرئيسي لهذه الدراسة لاحتوائه على كثير من المادة التاريخية الخاصة بالبحريين؛ لذا كان على أن أتعامل معه بحرص وحذر شديدتين. فرغم أن الكاتب كان ثقة دقيقاً لا

<sup>(٣)</sup> صالح بن يحيى: كتاب تاريخ بيروت وأخبار الأمراء البحريين من بني الغرب، نشر وتعليق لويس شيخو، بيروت في المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين، ١٨٩٨م.

<sup>(٤)</sup> صالح بن يحيى: المصدر السابق، ص ٧.

يررى شيئاً إلا شفعه بأسانيده وحججه، إلا أنه يلاحظ مع ذلك ميله أحياناً إلى أسلافه وإغفاله أيضاً لبعض الأحداث التاريخية التي قد تشوه ذكراًهم<sup>(٥)</sup>، ومع هذا فإن مؤلفه يعد مصدراً أساسياً لهذه الدراسة وقد استقى صالح بن يحيى معلومات عن أسلافه من خلال الوثائق الرسمية والمكاتبات المتبادلة بين الأمراء البحريين من جهة، وبين أمراء دمشق -الذين يتولون الإشراف عليهم- وحكام القاهرة من جهة أخرى<sup>(٦)</sup>. ومن أمثلة تلك المكاتبات المناشير الخاصة بتولية البحريين الإمارة على إقطاعاتهم والرسائل التي توضح المهام المكلفين بها وغيرها من الأمور المختلفة التي تتعلق بتصريف شئونهم، وبين ثانياً هذه المكاتبات نجد المادة التي تهمنا والخاصة بالعلاقات بين الأمراء البحريين والصليبيين مبعثرة هنا وهناك، وهي تلقي الضوء على طبيعة هذه العلاقات وماهيتها. وقد اتسمت تلك العلاقات برّوح العداة تارة والرفاق تارة أخرى تبعاً للظروف التي كان يمر بها كلا الجانبين، فنجد الهجمات المتبادلة بين الطرفين حيناً والسلم والمعاهدات حيناً آخر، وذلك وفقاً لما تمليه ظروف كلا الطرفين<sup>(٧)</sup>.

ولتفهم طبيعة تلك العلاقات يجدر بنا العودة قليلاً إلى السوراء للتعرف على البحريين، من هم؟ وما هي الظروف التي مروا بها منذ

<sup>(٥)</sup> ومن أمثلة ذلك إغفاله الإشارة إلى المحرم الصليبي على إقليم المغرب ١١١٠م/٥٠٤هـ، وكذلك تشييد الصليبيين لقلعة مونت حلاتين في جبال بيروت ١١٢٥م/٥١٩هـ، ونفيه لوجود خطابات متبادلة بين البحريين وكل من أمراء أنطاكية وسيدا وعكا. عن ذلك راجع ص ٦، ١٦، ١٧ من هذا البحث.

<sup>(٦)</sup> راجع نصوص هذه الوثائق والمناشير في صالح بن يحيى: المصدر السابق، ص ٦٤-٢٥٩، وانظر أيضاً

C. Clermont, Deux Chartes des Croisés dans les Archives Arabes, in (R.A.O.), Vol. VI, 1905, (pp. 1-30), p. 1.

Jean Richard, The Latin Kingdom of Jerusalem, Trans. by Janet Shirley, <sup>(٧)</sup> 2 vols, New York, 1979, Vol I, p. 28; Nikerson, The Seigneurie of Beirut in the Twelfth Century and The Brisebarre Family of Beirut -Blanche-Garde, in Byzantion, 1949 (pp. 141-185), p. 149.

نروحهم إلى بلاد الشام في القرن السابع الميلادي / الأول الهجري، وحتى  
يجي الصليبيين إلى المنطقة ودخولهم في علاقات معهم؟

ينتسب البحريون إلى جددهم الأكبر الأمير بُحتر الملقب بناهض  
الدولة أبي العشائر بُحتر بن شرف الدولة علي بن الحسين، والذي ينتهي  
نسبه إلى تنوخ<sup>(٨)</sup>، ومنه إلى المناذرة ملوك الحيرة اللخمين<sup>(٩)</sup>. كان  
التنوخيون أجداد البحريين قبائل نصرانية قبل الإسلام<sup>(١٠)</sup> وبقوا على دينهم  
زمنًا بعد المحجرة النبوية الشريفة إلى أن غلب عليهم الدين الإسلامي  
لاختلاطهم بالمسلمين<sup>(١١)</sup>، واستوطنت تنوخ بعد الإسلام البرية الواقعة بين  
حلب ومعرة النعمان<sup>(١٢)</sup>، وإلى عربها ينتسب الأمراء البحريون الذين

<sup>(٨)</sup> تنوخ: يفتح لهاء وضم النون ثم بحاء معجمة، هي حى من اليمن من التحطانية، والتخ المقام،  
وينسبون إلى الأمير تنوخ بن قحطان بن كلفة بن حنطب الذي يرتفع نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم  
الخليل عليهما السلام. وإنما سموا تنوخًا لتوهمهم بالشام وقيل بالحيرة. ولزيد من التفاصيل عن  
نسبهم راجع: القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص ١٨٩، ابن حزم: المصنوع  
السابق، ص ٢١٥، ٤٥٣، ٤٦١، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،  
ط٤، دار المعارف ١٩٧٩م، ج١، ص ٦١٢، ج٢، ص ٤٢.

<sup>(٩)</sup> القلقشندي: صبح الاعشى، ج١، ص ٣٢١، السويدي: المصنوع السابق، ص ٢٤٠.

<sup>(١٠)</sup> عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج١، مؤسسة الرسالة، ط٥، بيروت  
١٩٨٥، ص ٦٩، قليب حتى: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ج٢، دار الثقافة، بيروت ١٩٥٨م،  
ج٢، ص ١٧٠.

<sup>(١١)</sup> على الرغم من أن صالح بن يحيى ذكر في كثير من اللسانيات أن أجداده كانوا من المسلمين  
للسنة، إلا أن هناك من الآراء ما يشير إلى أنهم كانوا من الدرزي، وأنهم تظاهروا بالإسلام لانتقاء شر  
السلطات الإسلامية الخاضعين لنفوذهم من جهة، وكسب ودهم من جهة أخرى. عن ذلك انظر:

H. Lammens, La Syrie, Précis Historique, 2 vols, Beyrouth 1921, Vol II, p.  
10.

<sup>(١٢)</sup> الطبري: المصنوع السابق، ج٢، ص ٤٢، ج٤، ص ٥١. انظر أيضًا:

Churchill, Mount Lebanon, London 1853, Vol I, p. 226; Lammens, Op. Cit.,  
Vol II, p. 9.

ومعرة النعمان هي مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة ماؤها من الآبار  
وعنبهم الزيتون الكثير واللبن. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، دار صادر للطباعة  
والنشر، بيروت ١٩٥٧، ص ١٥٦.

خضعوا فى تلك الفترة المبكرة لإشراف نائب حلب الذى ولى عليهم من قبله مشدًا<sup>(١٣)</sup> يرعى شئونهم، وعندما تعرض هذا المشد لبعض حريمهم، قام رجل منهم يدعى نبا بقتله وفر مع حريمه إلى منطقة كسروان<sup>(١٤)</sup>، حيث عمر له قرية هناك سميت برج نبا، ولما طلب نائب حلب القاتل من عشيرته خافوا منه فرحل بعضهم إلى إقليم الجزيرة وأعلى الفرات<sup>(١٥)</sup>، بينما توجه البعض الآخر إلى موضع نبا حيث استقروا هناك، وذلك عام ٨٢٠م/٢٠٥هـ<sup>(١٦)</sup>، وفيما بعد استوطنوا المنطقة الجبلية بصيدا وإقليم الغرب ببيروت الذى يشمل المنحدرات الجبلية الواقعة بين بيروت ونهر الدامور<sup>(١٧)</sup> وظلوا بها حتى مجى الصليبيين إلى المنطقة.

<sup>(١٣)</sup> المشد: ويقال له أبعًا الشاه، كان يتولى للدوليين وغيرها من الوظائف. فكان هناك شاة للأسواق والسلاح والمراكب وغير ذلك من الوظائف للفردة. ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والممالك، انتهى بنشره بولس رابيس، طبع فى مدينة باريس المحروسة بالطبعة الجمهورية سنة ١٨٩٢م، ص ١١٤.

<sup>(١٤)</sup> كسروان: مقاطعة بيروت، صالح بن يحيى: المصدر السابق، ج٢، ص ١٣.

<sup>(١٥)</sup> نفس المصدر، ص ٦٩، الطبرى: المصدر السابق، ج٢، ص ٤٢، أنظر أيضًا: عماد كرد على: خطط الشام، ج١، ط٣، دمشق ١٩٨٣م، ص ٢٢-٢٦، لويس شيخو: بيروت تاريخها وآثارها، بيروت ١٩٢٥م، ص ٦٧. ويقع إقليم الجزيرة بين دجلة والفرات، وتشتمل على ديار شمر وديار بكر. انظر: باقر الحموي: المصدر السابق، ج٢، ص ١٢٤.

<sup>(١٦)</sup> الشدياق: أخبار الأحيان فى جبل لبنان، بيروت ١٨٥٩م، ج١، ص ٢٢٣، فيليب حتى: المرجع السابق، ج٢، ص ١٧٠.

<sup>(١٧)</sup> صالح بن يحيى: المصدر السابق، ص ٧٢. انظر أيضًا:

Churchill, op. Cit., Vol. I, pp. 237-38; Claude Cahen, La Chronique de Kirtay et les Franc de Syrie, in J.A, Paris 1937, (pp. 240-45), p. 244; Idem, La Syrie de Nord à l'époque des Croisades et La Principauté Franque d'Antioche, Paris 1940, p. 89.

ونهر الدامور: عبارة عن مجموعة أنهار هي: نهر الجابون، نهر الصفا، نبع القاع، ونبع داره، ويبلغ طوله ٤٠ كيلومترًا، ويصب فى البحر المتوسط. انظر:

Rey, Les Colonies Franques de Syrie aux XI<sup>e</sup> et XIII<sup>e</sup> siècles, Paris 1883, p. 521.

ذكر صالح بن يحيى أنه فى عام ١٠٢٧ م / ٤١٨ هـ كان أحد أجداده، ويدعى أبا إسحق إبراهيم أميرًا بالبيرة<sup>(١٨)</sup> من قبل خلفاء مصر الفاطميين<sup>(١٩)</sup>، فى حين تولى ابنه الأمير إبراهيم الملقب بمجد الدولة حكم مدينة صيدا وظل بها إلى أن استولى عليها الفرنج عام ١١١٠م/ ٥٠٤ هـ<sup>(٢٠)</sup>، فانتقل إلى إقليم الغرب الذى كان قد خربه الفرنج قبل استيلائهم مباشرة على مدينة صيدا وتركوه قاعًا صفصفاً بعد أن قتلوا من طائفة أيديهم ولاذ بالفرار كل من تمكن من الهرب، ومن بين هؤلاء الذين

(١٨) وهى تقع على الضفة الشرقية لنهر الفرات جنوب غرب الرها بحوالى ٨٠ كم، وهذا الاسم يطلق على عدة مواضع، فأما للموضع الذى يعنىنا فذكر ياقوت أن البيرة «هبللة قرب سيماط بين حلب والشوهر، وهى حصينة ولها رستاق واسع...» ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج١، ص ٥٢٦، والبيرة أيضاً «من قرى ولى بظان من أعمال حلب» وأيضاً البيرة «من قرى كفر طاب»: ياقوت الحموى: المشرك وضماً والمفروق صقماً، جرحن ١٨٤٦م ص ٧٥، والبيرة أيضاً: «هبللة بين بيت المقدس ونابلس»: ياقوت: نفس المصدر والصفحة، معجم البلدان، ج١، ص ٥٢٦. أما للبيرة التى فى الأندلس فأنها أصل والنسبة الألبيرية: البغدادي: مراد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق وتعليق على حمد البحارى، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٤م، ص ١١١. ولزيد من التفاصيل عن أهمية موقع البيرة وما تشتهر به، راجع: محمد محمد فرحات: معادل أعمال الفرات بين المسلمين والمصلين ١٠٩٧-١١٥١م/ ٤٩٠هـ-٥٤٦هـ، رسالة ماجستير لم تنشر بعد، الإسكندرية ١٩٨٨م، ص ٤٩ وما بعدها.

(١٩) صالح بن يحيى: المصدر السابق، ص ٦٩، انظر أيضاً: قليب حتى: للرجع السابق، ص ١٧٠.

ح٢.

(٢٠) تمكن الصليبيون من الاستيلاء على مدينة صيدا بالأمان بعد حصار دام سبعة وأربعين يوماً وذلك فى الرابع من ديسمبر ١١١٠م/ العشرين من جمادى الأولى ٥٠٤ هـ عن ذلك انظر:

Albert d'aix, Historia Hierosolymitana, Ed. R.H.C.Occ. Tome IV, Paris 1879, p. 679; Mattieu d'Edesse, Extraits de la Chronique de Mattieu d'Edesse, Ed. R.H.C. Doc. Arm., Paris, 1869, T.1, p. 17; William of Tyre, A History of Deeds Done Beyond the Sea, Trans. by Bab Cock and Krey, 2vols, New York, 1943, Vol, I, pp. 487-88.

انظر أيضاً: ابن القلاسى: ذيل تاريخ دمشق، بيروت ١٩٠٨م، ص ١٧١، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج٩، دار الفكر، بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ص ٢٦٠.

ولزيد من التفاصيل عن سقوط مدينة فى أيدي الصليبيين انظر: أسامة زكى زيد: صيدا ودورها فى الصراع الصليبي الإسلامى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١م، ص ٩١-٩٩.

نجوا الأمير أبو العشائر بجزر الذي كان لا يزال صغيراً فى ذلك الوقت<sup>(٢١)</sup> فتولى الأمير مجد الدولة إبراهيم حكيم الإقليم - من قبل طغتكين أتابك دمشق ١١٠٤-١١٢٨م/٤٩٨-٥٢٢هـ - فقام بتنظيمه وإعادة إعمارها مرة أخرى بعد أن عاد إليه كل من اضطر إلى الهرب إبان الهجوم الفرنجى على الإقليم<sup>(٢٢)</sup>.

ومهما يكن من أمر فقد تمتع البحريون بقدر وافر من الحرية إبان فترة حكم الأمير مجد الدولة إبراهيم ١١١٠-١١٢٦م/٥٠٤-٥٢٠هـ؛ نظراً لقصر يد الفرنج عليهم، وساعدتهم فى ذلك طبيعة بلادهم الجبلية. ونظراً لعدم انضوائهم للنفوذ الصليبي بالمنطقة ورفضهم دفع الضرائب لهم، فضلاً عن انحيازهم لحكام دمشق المسلمين<sup>(٢٣)</sup>، أو جس الصليبيون منهم خيفة واستشعروا منهم الخطر؛ مما دفع بالملك بلدوين الثانى (١١١٨-١١٣١م / ٥١٢-٥٢٦هـ) إلى الحضور بنفسه للإشراف على تشييد قلعة منيعة فى جبال بيروت لكبح جماح البحريين وإجبارهم على الطاعة، وقد أطلق عليها اسم قلعة مونت جلانين Mont Glainen أو مونت جلافياتوس Mont Glavianus، وهى تبعد حوالى ستة أميال عن مدينة بيروت، وذلك فى أكتوبر عام ١١٢٥م / ٥١٩هـ<sup>(٢٤)</sup>، مما يعكس لنا مدى ما كان يشكله البحريون من خطر على حدود مملكة بيت المقدس الصليبية فى تلك المنطقة.

Clermont, Op. Cit., p. 26. (٢١)

Idem. (٢٢)

<sup>(٢٣)</sup> صالح بن يحيى: المصدر السابق، ج١، ص ٦٩. انظر أيضاً:

Clermont, Op. Cit., p. 25.

Fulcher of Chartres, A History of The Expedition to Jerusalem, Trans. <sup>(٢٤)</sup> by Frances Rita Ryan, (Sisters of St. Joseph), Edited with an introduction by Harold's Fink, Knuville, U.S.A., 1969, p. 226; cf. also: Nickerson, Op. Cit., pp. 156-57.

أدى تشييد الصليبيين لقلعة مونت جلانين إلى الحد من حرية البحريين في مزاولة أنشطتهم اليومية من زراعة وغيرها وسبب لهم أضراراً بالغة وألحق بممتلكاتهم خسائر مادية فادحة، فضلاً عن أن الصليبيين تمكنوا -بفضل موقع القلعة- من تحسس أخبار البحريين ومُجسوا في إلقاء القبض على ستة من ذوى الشأن منهم<sup>(٢٥)</sup>؛ لذلك اضطرت البحريون إلى الرضوخ لمطالب الصليبيين فقدموا لهم الضرائب نظير عدم التعرض لهم ولممتلكاتهم والسماح لهم بمزاولة أنشطتهم اليومية<sup>(٢٦)</sup>.

والعجيب أن صالح بن يحيى قد صمت عن ذكر هذا الحدث الذى لم يشر إليه سوى المؤرخ اللاتينى فولشر أوف شارتر Fulcher of Charter، كما صمت عن ذكر غيره من الأحداث الأخرى، إلا أننا نلتبس له العذر فى ذلك؛ إذ أنه وكما ذكر فى مقدمة كتابه قد أوقف هذا العمل على أهل بيته فقط لإبراز مآثر أجداده ليتوارثها الخلف عن السلف جيلاً بعد جيل وذلك من خلال ما ورد فى مناقبهم الرسمية التى لم يكن الهدف منها الإشارة إلى الأحداث التاريخية وذكر تفاصيلها بقدر ما كانت تُعنى بإبراز العلاقة بين البحريين وبين كل من دمشق والقاهرة هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن أول منشور خاص بالبحريين أورده صالح بن يحيى فى كتابه يرجع تاريخه إلى عام ١١٤٧م/٥٤٢هـ<sup>(٢٧)</sup> وقد يعث به بحير الدين أبى أمير دمشق<sup>(٢٨)</sup>، وتاريخ هذا المنشور يلى تاريخ تشييد قلعة مونت جلانين بنحو اثنتين وعشرين سنة.

<sup>(٢٥)</sup> Fulcher, Op. Cit., Loc. Cit.

<sup>(٢٦)</sup> Nickerson, Op. Cit., p. 149, n.1.

<sup>(٢٧)</sup> راجع نسخة هذا المنشور من صالح بن يحيى: المصدر السابق، ص ٦٧.

<sup>(٢٨)</sup> تولى حكم دمشق فى الفترة من ١١٤٠-١١٥٦م / ٥٣٤-٥٤٩هـ، ونظراً لحدثة سنة قام معين الدين أنر بتدبير شئون البلاد، واستمر بحير الدين أبى فى الحكم حتى سنة ١١٥٦م عندما عزله نور الدين عن دمشق وضمها إليه فرحل بعدها إلى بغداد حيث توفي هناك. وللمزيد راجع: ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص ٤٥-٤٦.

وعلى أى حال، خلف الأمير أبو العشائر بخت بن على الأمير مجد الدولة إبراهيم فى حكم إقليم الغرب وذلك فى الفترة من ١١٢٦-١١٥٧م/ ٥٢٠-٥٥٢هـ وقد اتسمت العلاقات الصليبية البحرية إبان عهد هذا الأمير بنوع من الهدوء والاستقرار<sup>(٢٩)</sup>؛ إذ أدرك البحريون أنه ليس من الحكمة معاداة الصليبيين؛ نظراً لعدم وجود القوة الإسلامية التى بوسعها حمايتهم والدفاع عنهم إذا ما تعرضوا للخطر الصليبي هذا من جهة، كما أدرك الصليبيون أن من مصلحتهم الإبقاء على علاقات ودية مع البحريين إذا ما أرادوا لحدودهم الشرقية أن تنعم بالأمن والاستقرار من جهة أخرى، ولأن الإبقاء على البحريين موالين لهم يعود عليهم بالمنفعة أكثر من معاداتهم حتى وإن كان ميزان القوى فى صالحهم؛ لذلك اتسمت العلاقات الصليبية البحرية إبان تلك الفترة بالسلام والاستقرار، ولم يعكر صفوها سوى بعض الغارات القليلة ضد الصليبيين فى المنطقة، إلا أنها كانت غارات خاطفة ولم تكن مؤثرة بأى حال من الأحوال ومثال ذلك ما حدث فى عام ١١٥١م/ ٥٤٦هـ عندما قام الأمير أبو العشائر ببحر بالمهجوم على بعض الفرنج عند نهر الغدير<sup>(٣٠)</sup> بالقرب من بيروت وتمكن من قتل عدد منهم بينما فر الباقون إلى بيروت للاحتباء بها<sup>(٣١)</sup>، وأغلب الظن أن هؤلاء الفرنج كانوا عابرين المنطقة ولم يكونوا من صليبي صيدا أو بيروت التى تناخم حدودهما أملاك البحريين، والدليل على ذلك أننا لم نسمع عن رد فعل صليبي إزاء هذا الهجوم. ومن العجيب أيضاً أن المصادر المعاصرة وغير

Lammens, Op. Cit., p., 11.

(٢٩)

(٣٠) نهر صغير جنوب بيروت. انظر:

Clermont, Op. Cit., p. 25, n. 4.

(٣١) ابن سبأط: صدق الأخبار فى نسبة آل توح، نشر ضمن كتاب حيدر أحمد الشهابي، ص ٥٦٦.

انظر أيضاً:

Churchill, Op. Cit., p. 238.

المعاصرة من غربية وإسلامية باستثناء ابن سباط<sup>(٣٣)</sup> لم تُشر البتة إلى هذا الهجوم؛ مما يوضح لنا أن البحريين كانوا على قناعة تامة بضرورة معالجة الصليبيين في تلك الفترة وعدم معاداتهم حتى يتمكنوا من العيش في سلام دون أن يتعرضوا لخطرهم.

ومهما يكن من أمر فقد خلف الأمير شمس الدولة أبو الغز كرامة ابن بحر والده في حكم إقليم الغرب وذلك في سنة ١١٥٧م / ٥٥٢هـ<sup>(٣٣)</sup>. وقد ظلت العلاقات الصليبية البحرية على صفائها السابق طوال فترة حكمه رغم تغير موازين القوى بالمنطقة؛ إذ أخذ ميزان القوى تعادل كفته خاصة بعدما تمكن الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ١١٤٦-١١٧٤م / ٥٤١-٥٦٩هـ من ضم دمشق إلى ممتلكاته سنة ١١٥٦م / ٥٤٩هـ فرحد بذلك بين بلاد الشام جميعها تقريباً، وأصبحت الجبهة الإسلامية قوة كبيرة لها وزنها بمقدورها التصدي للخطر الصليبي وإضفاء حمايتها على رعاياها أمثال البحريين وغيرهم.

وقد ذكر صالح بن يحيى أن الأمير كرامة مال إلى جانب الملك العادل نور الدين وأهمل الفرنج<sup>(٣٤)</sup>. ويمتشف من هذه العبارة أن البحريين قبل ذلك كانوا مائلين للفرنج ومنحازين إليهم تماماً ثم مالوا إلى جانب نور الدين بعدما قويت شوكته وأصبحت لديه القوة التي تمكنه من الدفاع عن رعاياه. ورغم ما أبداه البحريون من ميل تجاه نور الدين

<sup>(٣٣)</sup> والجدير بالذكر أن ابن سباط كان يعمل في خدمة الأمراء البحريين، فليس من الغريب أن ينزرد بذكر هذه الحادثة وغيرها لقربه من البحريين.

<sup>(٣٤)</sup> لزيد من التفاصيل من شخصية هذا الأمير وأهم أعماله راجع: صالح بن يحيى: المصدر السابق،

ص ٧١.

<sup>(٣٥)</sup> الجدير بالذكر أن الأمير كرامة قدم دمشق حيث مَثَل بين يدي الملك العادل نور الدين الذي جعله بإتعامه، وأعطاه منشوراً يثبت ملكيته لإقليم الغرب وأغلق عليه منحا كثيرة منها عدة قرى في البقاع وروادي النيم، كما كتب للأمير كرامة مرسوماً يحثه فيه على جهاد الفرنج وبأمر رعاياه بطاعته ويحذرهم من مخالفته في هذا الأمر. لزيد من التفاصيل عن هذه المناشير راجع: صالح بن يحيى:

المصدر السابق، ص ٧١-٧٢.

محمود، إلا أنهم تمتعوا بنوع من الاستقلال الذاتى فلم يخضعوا لاي من القوتين الصليبية أو الإسلامية وتأرجح ولاؤهم بين هؤلاء وأولئك وفقاً لما تقتضيه مصلحتهم الشخصية وقدموا خدماتهم المختلفة لمن يدفع المقابل<sup>(٣٥)</sup> وكانهم ورثوا الدور الذى كانت تلعبه دمشق قبل ضم نور الدين لها<sup>(٣٦)</sup>؛ لذا حرص كل من الصليبيين والمسلمين على كسب ودهم واستقطابهم إلى جانبهم لما يشكلونه من أهمية لمناخمتهم لحدود الطرف الآخر<sup>(٣٧)</sup>. وقد تجمع البحريون فى القيام بهذا الدور إلى حد بعيد، الأمر الذى جعل كلاً من المسلمين والصليبيين يشكون فى صدق ولائهم من جهة، ولا يثقون فى وعودهم قط من جهة أخرى لهذا قام البحريون بإنشاء عدد من الحصون والقلاع المنيعة ليحتموا بها إذا ما دارت عليهم اللواتر، ولعل أشهر هذه الحصون حصن عرامون وسرحمول<sup>(٣٨)</sup>.

ويبدو أن الصليبيين قد عز عليهم ميل البحريين لنور الدين لما كان بينهما من مودة من قبل؛ لذا أسر سيد بيروت الصليبي هذا الامر فى نفسه ولم يده لهم تحيناً للفرصة المواتية التى يثار فيها منهم، واعتماداً على الهدنة المبرمة بينهم<sup>(٣٩)</sup> أظهر مشاعر ودية كاذبة حيال أبناء الأمير كرامة -الذين

Nickerson, Op. Cit., p. 149.

(٣٥)

(٣٦) لمزيد من التفاصيل عن سياسة دمشق للزوجة راجع:

ابن القلاسى: اللبل، ص ٢٧١-٢٧٣، ٢٩٨، ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص ٣٦٧، ج٩، ص ٢٠، ٢١، ابن واصل: مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب، ج١، تحقيق د. جمال الدين الشيبان، القاهرة ١٩٦٠م، ص ٨٨، ١١٣. انظر أيضاً:

William of Tyre, Op. Cit., pp. 190-92.

(٣٧) صالح بن يحيى: للمصدر السابق، ص ٧١-٧٢، ٨٣-٨٤، ابن سباط: للمصدر السابق، ص ٥٦٩، شافع بن على: حسن اللواقب السرية للترعة من السورة الظاهرية، تحقيق ونشر عبد العزيز بن عبد الله الخويطر، جامعة الملك عبد العزيز، للكتبة المركزية، جدة، بدون تاريخ، ص ٧٧. انظر أيضاً:

Jean Richard, op. Cit., p. 396; Claude Cahen, Op. Cit., p. 244.

Clermont, Op. Cit., p. 1; cf. also: Lammens, Op. Cit., p. 12

(٣٨)

ويقع كل من حصن سرحمول وعرامون فى مقاطعة القرب الأسفل، انظر: صالح بن يحيى: المصدر السابق، ص ٧٠ ح ٢، ص ٧١ ح ٢.

Clermont, Op. Cit., p. 29; cf. also: Churchill, Op. Cit., p. 237

(٣٩)

خلفوا أباهم في حكم الإقليم<sup>(٤٠)</sup> - وحرص على الاجتماع بهم مراراً  
 للصيد حتى اطمئنا بجانبه. وعندما أحس سيد بيروت بهذا دعاهم ذات  
 ليلة لحضور عرس ولده، فلبى الثلاثة الكبار هذه الدعوة وحضروا إلى  
 بيروت وبرفقتهم عدد قليل من أتباعهم، ولما دخلوا القلعة لم يخرجوا منها  
 فكان هذا هو آخر العهد بهم. وفي صبيحة اليوم التالي قام سيد بيروت  
 ومن معه من قنات بالإغارة على الإقليم وجائوا خلال دياره ناشرين  
 الرعب والفرع بين أهله وقتلوا عدداً كبيراً منهم بينما فر العديد من سكانه  
 للاحتباء بالأردية المجاورة خوفاً من بطش الصليبيين، ومن بين هؤلاء الذين  
 نجوا زوجة الأمير كرامة وولدها الصغير حجي شقيق الإخوة الثلاثة الذين  
 قتلهم سيد بيروت<sup>(٤١)</sup>.

ومهما يكن من أمر فإن هناك سؤالين يطرحان نفسيهما على  
 بساط البحث: أولهما متى تمت هذه الواقعة؟ والآخر من من أمراء الفرنج  
 الذي قام بهذا العمل؟ يذكر صالح بن يحيى أن هذه الواقعة وقعت في أواخر  
 أيام الملك العادل نور الدين محمود دون تحديد تاريخ محدد لها<sup>(٤٢)</sup>، بينما  
 ذكر ابن سباط أنها وقعت في ٥٧٠هـ / ١١٧٤-١١٧٥م<sup>(٤٣)</sup>. وقد أشار  
 أحد المؤرخين المحدثين إلى أن نور الدين منح قرية جبعة للأمير حجي بعد  
 عدة أيام من هذه الواقعة<sup>(٤٤)</sup>. وبالرجوع إلى ما ذكره صالح بن يحيى بنحوه

<sup>(٤٠)</sup> لم نعدنا المصادر المتاحة بمعلومات تحدد تاريخ وفاة الأمير كرامة بن مجز، وكل ما نعلمه أنه ترك  
 من بعده أربعة أبناء ذكرهم يدهي جمال الدين حجي، صالح بن يحيى: المصدر السابق، ص  
 ٧٤.

<sup>(٤١)</sup> صالح بن يحيى: المصدر السابق، ص ٧٤، ابن سباط: المصدر السابق، ص ٥٦٦، انظر أيضاً:  
 Clermont, op. Cit., p. 29.

<sup>(٤٢)</sup> صالح بن يحيى: المصدر السابق، ص ٧٥.

<sup>(٤٣)</sup> ابن سباط: المصدر السابق، ص ٥٦٦.

<sup>(٤٤)</sup> لشهابي: أخبار الأعيان، ص ٢٥٥، ولعل نور الدين منح الأمير حجي هذه القرية تسرية له عما  
 لحق بأشقائه. هنا ولم نتعرف على موضع قرية جبعة.

يحدد تاريخ تلك المنحة في مايو ١١٧٠م / رمضان ٥٦٥هـ<sup>(٤٥)</sup>. وبناء عليه يثبت للباحث أن هذه الحادثة وقعت في ١١٧٠م / ٥٦٥هـ. هذا ولم تمدنا المصادر المتاحة بمعلومات توضح شخصية سيد بيروت الذي قام بتلك المؤامرة، وإن أشار أحد المؤرخين المحدثين إلى أن حوتيه الثالث بريسبار Gautier III هو الذي قام بتلك المؤامرة<sup>(٤٦)</sup> وهذا الرأي لا يمكن قبوله على اعتبار أنه تولى حكم بيروت خلال الفترة من ١١٥٧م / ٥٥٢هـ إلى ١١٦٦م / ٥٦١هـ، وهي فترة تسبق وقوع تلك الحادثة.

على أي حال بعدما انجملت الغارة الصليبية على إقليم الغرب وعاد المغربون من حيث أتوا، أخذ سكان الإقليم في العودة ثانية إلى ديارهم. ولما كان الأمير حمص لا يزال صغيراً - لم يتجاوز بعد العاشرة من عمره وقتئذ - لنا لم يكن بمقدوره القيام بهجوم مضاد للثأر من الصليبيين لما ارتكبه في حق أشقائه الثلاثة وغيرهم من سكان الإقليم، وفضل أن ينتظر الفرصة المواتية لذلك.

ومهما يكن من أمر، أدى غدر الصليبيين بالأمرء البحريين ١١٧٠م / ٥٦٥هـ إلى توتر العلاقات بين الجانبين ودفع البحريين إلى الانحياز التام للجانب الإسلامي ليثأروا مما لحقه الصليبيون بهم، فقدموا خدمات كبيرة لصالح الدين، فأطلعوه على دروب المنطقة لمعرفة التامة بخباياها وشاركوه في غاراته التي شنّها على مدينتي صيدا وبيروت ١١٧٩م /

<sup>(٤٥)</sup> صالح بن يحيى: المصدر السابق، ص ٧٦. وقد أشار تشرشل إلى أن هذه الكتابة وقعت في ١١٦٠م، وهذا خطأ تاريخي واضح. انظر:

Churchill, Op. Cit., p. 238.

<sup>(٤٦)</sup> لويس شيخو: تاريخ بيروت، ص ٦٨-٦٩، وحوتيه الثالث هو الابن الأكبر لمي الثاني Guy II سيد بيروت. ولزيد من التفاصيل عن شخصيته وأهم أعماله انظر:

Lignage d'Outre-mer, cf. Assises de Jerusalem, T. II, Paris, 1843, p. 459; Rohricht Regesta Hierosolymitani, Innsbruck, 1893, doc. 325.

بينما ذكر جين ريتشارد أن رولو الثاني بريسبار هو الذي قام بتلك المؤامرة

The Latin Kingdom, 1, p. 28.

٥٧٥هـ، وإن لم تشر المصادر إليهم صراحة واكتفت فقط بالإشارة إلى أن صلاح الدين قد استعان في غاراته تلك بالقبائل العربية القاطنة في مجاورات بيروت<sup>(٤٧)</sup>، ولما كان البحريون هم سكان تلك المنطقة ولديهم الدافع للانتقام من الصليبيين؛ لذا فمن المرجح أنهم هم الذين قاموا بشن تلك الغارات.

وفي سنة ١١٨٢م / ٥٧٨هـ عندما أراد صلاح الدين غزو بيروت عسكرت قواته في منطقة البقاع التي تعد من ممتلكات البحريين<sup>(٤٨)</sup>، وظل بها ينتظر ظهور الأسطول المصرى ليتم حصار المدينة براً وبحراً؛ لذا بث عيونه وكشافته في جبال بيروت ليترقبوا لحظة وصول الأسطول ويخبروه بذلك ليبدأ المحرم البرى والبحرى على المدينة<sup>(٤٩)</sup>. ومن المرجح أن يكون هؤلاء العيون والكشافة من البحريين أنفسهم لأنهم سكان تلك المنطقة

---

William of Tyre, Op. Cit., p. 447, cf. also Grousset, Histoire des Croisades et du Royaume Franc de Jerusalem, 3 vols, Paris 1948, vol II, p. 671.

انظر أيضاً: المقرئى: السلوك لمعرفة دول الملوك، نشر محمد مصطفى زيادة، الجزء الأول، القسم الثالث، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٩، ص ٦٧، أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ٢ جزء مطبعة وادى النيل ١٢٨٧-١٢٨٨هـ، ج٢، ص ٨-١١، ولزيد من التفاصيل عن تلك الغارات وموقف ريتالد صاحب صيدا انظر: أسامة زكى: المرجع السابق، ص ١٦٢-١٦٤.

William of Tyre, Op. Cit., Vol. II, p. 475, cf. also, Grousset, Op. Cit., Vol. II., p. 710; Churchill, Op. Cit., p. 237.

انظر أيضاً: أبو شامة: الروضتين، ج٢، ص ٢٩، الحنبلى: شفاء القلوب في تاريخ بني أيوب، تحقيق قاسم رشيد، بغداد ١٩٧٩م، ص ٩٨، أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ٤ ج في مجلدين، بيروت بدون تاريخ، ج٢، ص ٦٤، البندارى: سنا البرق الشامى، اختصار كتاب البرق الشامى للعقاد الكاتب الأصفهاني، تحقيق د. فحبة الجاوى، القاهرة ١٩٧٩م، ص ٢٠٠-٢٠١.

<sup>(٤٨)</sup> لزيد من التفاصيل عن محرم صلاح الدين على بيروت وما آل إليه، انظر:

William of Tyre, Op. Cit., Vol. II, pp. 475-80, cf. also Grousset, Op. Cit., Vol. II, p. 710.

انظر أيضاً: ابن الأثير: المصدر السابق، ج٩، ص ١٥٦، أبو شامة: المصدر السابق، ج٢، ص ٢٩، البندارى: المصدر السابق، ص ٢٠١-٢٠٢.

وهم أدري بشعابها ودروبها من سواهم، ولاشك أيضاً أنهم قدموا خدماتهم لصالح الدين أثناء فترة انتظاره بقواته في سهل البقاع، مما يعكس لنا استمرار تدهور العلاقات بين الصليبيين والبحريين وانحياز البحريين التام إلى جانب صلاح الدين، وغير دليل على ذلك أن البحريين بقيادة الأمير حجيّ قاموا عام ١١٨٧م / ٥٨٣هـ - بعد معركة حطين - بالانضمام إلى قوات صلاح الدين الزاحفة لفتح بيروت وشاركوا في العمليات العسكرية ضد الصليبيين. واعتزازاً بجميلهم قام السلطان صلاح الدين بعد فتح بيروت بتقريب الأمير حجيّ إليه وقال له: "ها نحن قد أخذنا ثأرك من الفرنج فطيب قلبك وأنت مستمر مكان أهلك وإخوتك" وكتب له منشوراً يقره فيه على إقطاعه<sup>(٥٠)</sup> واعترف بنفوذه على المنطقة الجبلية لصيدا وبيروت<sup>(٥١)</sup>.

على أي حال، بعدما تمكن الصليبيون من إعادة استيلائهم على ساحل بيروت ١١٩٧م / ٥٩٣هـ لم ينسوا موقف البحريين السابق منهم بعد حطين وانحيازهم التام لصالح الدين وما قدموه له من خدمات، فضلاً عن احتفاظهم بالناطق الداخلية التي كانت تابعة لهم قبل فتح صلاح الدين لها ١١٨٧م / ٥٨٣هـ<sup>(٥٢)</sup>، فتعمدوا مضايقة البحريين وإلحاق الأذى بهم وبممتلكاتهم؛ مما أعاقهم عن مزاوله أنشطتهم اليرمية التي اعتادوا عليها من قبل؛ لذا أرسل الأمير جمال الدين حجيّ رسالة إلى الملك العادل شقيق

<sup>(٥٠)</sup> راجع تفاصيل هذا المنشور في صالح بن يحيى: المصدر السابق، ص ٧٥-٧٦، ابن سباط: المصدر السابق، ص ٥٦٦.

<sup>(٥١)</sup> Clermont, Op. Cit., p. 29.

<sup>(٥٢)</sup> Richard of Cornwall, Letter to Baldwin of Rierers and Robert Clerck  
Rome 1, July, 1241 in Matthew, Paris, Vol. I, p. 142.

انظر أيضاً: للقريري: السلوك، ج ١، ص ٢٥، ص ٣٠٣-٣٠٤، تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، قام على نشره أنطون خاطر وأزولك بروسكو، المجلد الرابع، ج ٢، القاهرة ١٩٧٤، ص ١٠٧.

الناصر صلاح الدين<sup>(٥٣)</sup> ١١٩٦-١٢١٨م / ٥٩٢-٦١٥هـ يشكو فيها من مضايقة الفرنج لهم وما يعانونه من متاعب بسبب تلك المضايقات. وقد طلب الملك العادل من الفرنج -اعتمادًا على الهدنة المبرمة بينهما<sup>(٥٤)</sup>- حُسن معاملة البحريين وأرسل خطابًا للبحريين يحمل هذا المعنى<sup>(٥٥)</sup>. ويبدو أن الفرنج لم يلتزموا تمامًا بوعودهم تجاه البحريين، والدليل على ذلك أن الأمير جمال الدين حجيّ أرسل خطابًا آخر إلى العزيز عثمان ملك مصر ١١٩٣-١١٩٨م / ٥٨٩-٥٩٥هـ في ذلك الوقت يشرح فيه الحالة التي باتوا عليها وما يسببه الفرنج لهم من مضايقات، ويبدو أن العزيز عثمان تمكن من إقناع الصليبيين بضرورة التوقف عن مضايقة البحريين، كما حثهم على حُسن معاملتهم، وأرسل خطابًا يحمل هذا المعنى إلى الأمير جمال الدين حجيّ<sup>(٥٦)</sup>.

مهما يكن من أمر فقد أخذت العلاقات الصليبية البحرية تشهد بداية مرحلة جديدة من تاريخها اتسمت بروح التعاون والوئام وإن ظل البحريون خلالها يمارسون سياستهم المعهودة والتي تركز على ضرورة

<sup>(٥٣)</sup> اعطأ صالح بن يحيى عندما ذكر أن الأمير جمال الدين حجيّ أرسل خطابه إلى الملك الأفضل على بن صلاح الدين ١١٩٢م / ٥٩٣هـ، فالتفت أن للملك العادل هو الذي كان يتولى حكم دمشق في ذلك العام، راجع: صالح بن يحيى: المصدر السابق، ص ٧٧.

<sup>(٥٤)</sup> عقدت هذه الهدنة بين الملك العادل والملك صوري الثاني سنة ١١٩٨م / ٥٩٤هـ، وهي تماثل الهدنة التي عقدتها صلاح الدين مع الملك ريتشارد قلب الأسد قبل ذلك بسنوات وإن زيد عليها أن بمنفذ الصليبيون بيروت وحبل في مقابل بقاء ياقا في أيدي المسلمين. وللمزيد انظر:

Eracle mer, Ed. R.H.C., H. Occ., T. II, Paris, 1839, p. 228; Ernoul, Chronique d'Ernoul et de Bernard le Trésorier, Ed. L. de Maslatrie, Paris, 1871, pp. 316-17.

انظر أيضًا: ابن الأثير: المصدر السابق، ج٣، ص ٩٤، ٢٣٨، أبو الفداء: المصدر السابق، ج٣، ص ٩٤، أبو شامة: الدليل على الروضتين، ص ١٣، ابن واصل: المصدر السابق، نشر الشيبان، مصر ١٩٥٣م، ج٣، ص ٧٨.

<sup>(٥٥)</sup> ابن سباط: المصدر السابق، ص ٥٦٦. انظر أيضًا: الشدهال: المرجع السابق، ص ٢٢٦.

<sup>(٥٦)</sup> صالح بن يحيى: المصدر السابق، ص ٧٨.

وجود علاقات طبيعية بينهم وبين القوتين الصليبية والإسلامية مع عدم الانحياز التام لأي منها بقدر ما أمكنهم ذلك. ورحم دليل يبين لنا تحسن تلك العلاقات ما حدث في ١٢٤٠م/٦٣٨هـ من عودة الأجزاء الداخلية من بيروت - والتي كان يحتفظ بها البحريون منذ ١١٨٧م/٥٨٣هـ - إلى الصليبيين<sup>(٥٧)</sup> إثر الاتفاق الذي أبرم بين الصالح نجم الدين أيوب ملك مصر ١٢٤٠-١٢٤٩م/٦٣٧-٦٤٧هـ وريتشارد أوف كورنويل Richard of Cornwall قائد الحملة الإنجليزية<sup>(٥٨)</sup>. وفي العام التالي عام ١٢٤١م/٦٣٩هـ استعان باليان دي إبلين Balian d'Iblin سيد بيروت ١٢٣٦-١٢٤٣م/٦٣٣-٦٤١هـ<sup>(٥٩)</sup> بأعداد كبيرة من البحريين للتصدي لريتشارد فيلانجيري Richard Filangieri المنسوب الإمبراطوري في الشرق وإفشال مخططه لضرب الحزب المعارض للإمبراطور فريدريك الثاني

<sup>(٥٧)</sup> في الخطاب الذي أرسله الأمير ريتشارد كورنويل قائد الحملة الإنجليزية ١٢٤٠م/٦٣٨هـ الذي أرسله إلى أسدقاته في الغرب ذكر الإنجازات التي حصل عليها ولندن التي أسودها الصليبيون ومن جعلها للمنطقة الداخلية لبيروت وغيرها من المدن، عن ذلك انظر:

Richard of Cornwall, Op. Cit., Vol. I, p. 142; Eracles, Op. Cit., T. II, pp. 420-23.

انظر أيضاً: المقريزي: المصدر السابق، ج١، ق٢، ص ٣٠٣-٣٠٤، تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، ٤م، ج٢، ص ١٠٧.

<sup>(٥٨)</sup> المزيد من التفاصيل عن حملة ريتشارد أوف كورنويل انظر:

Annales de Terre Sainte, Publiées par Rohericht et G. Raynoud, in (A.O.L.) T. II, p. 440; Eracles, Op. Cit., pp. 413-15; William of Nangi, Gesta Sanctae Memoriae Ludovici Regis, in R.H.G.F. Vol. XX, ppp. 328-29.

انظر أيضاً: للولف الجيهول: تمة كتاب ولهم الصوري المنسوب خطأ لروتلان، ترجمة وتعليق أسامة زكي زيد، مركز الوثائق للطباعة ١٩٨٩م، ص ٦٤-١١٢.

<sup>(٥٩)</sup> هو الابن الأكبر ليوحنا دي إبلين سيد بيروت، وقد تولى حكم المدينة بعد وفاة أبيه سنة ١٢٣٦م/٦٣٣هـ، وتمكن من إلحاق الهزيمة بأنصار الإمبراطور فريدريك في الشرق وطردهم من مدينة صور. للمزيد عن ذلك انظر:

Philip of Novar, The Wars of Frederick II Against the Ibelins in Syria and Cyprus, Trans. by J.L. La Monte and M.J. Hubert, New York 1936, pp. 171-184; Annales de Terres Sainte, p. 441; Amadi, Chronique d'Amadi et de Strambaldi. Ed. Mas Latrie R., Histoire Politique, 2 vols., Paris 1891-93, pp. 189-194.

Frederich II ١٢١٢-١٢٥٠م / ٦٠٩-٦٤٨هـ<sup>(١٠)</sup>. فذكرت المصادر الغربية أن باليان دي إبلين قد حشد قواته العسكرية واستعان بأعداد كبيرة من سكان المناطق الجبلية لبيروت من "الكفار والمسيحيين"<sup>(١١)</sup>. وبما أن البحريين هم الذين يقطنون جبال بيروت فمن المرجح أنهم هم المقصودون بكلمة الكفار التي أوردتها المصادر السابقة، ويعد هذا دليلاً قوياً على تحسن العلاقات الصليبية البحرية ولعل المقصود بكلمة "المسيحيين" الموارنة.

ومهما يكن من أمر فقد ظلت العلاقات الصليبية البحرية تشهد تحسناً مضطرباً بينهما حتى اعتلاء السلطان بيبرس البندقدارى عرش مصر ١٢٦٠-١٢٧٧م / ٦٥٨-٦٧٦هـ الذى أخذ على عاتقه مهمة تصفية الوجود الصليبي وقطع دابره من المنطقة؛ لذلك لم يأل جهداً فى الاستعانة بكل وسيلة تعينه على تحقيق هذا الهدف. وإدراكاً منه لأهمية الدور الذى يلعبه البحريون عمد إلى استقطابهم إلى جانبه لإبعادهم عن الصليبيين ليحرهم مما يقدمه البحريون لهم من خدمات هذا من جهة، والاستفادة منهم فى تحقيق هدفه من جهة أخرى؛ فطلب من البحريين مد يد العون له وإطلاعه على أخبار الفرنج المجاورين لهم<sup>(١٢)</sup>، فأبدى البحريون استجابة كبيرة لهذا الأمر ورحبوا به خاصة وأن ذلك لا يتعارض مع السياسة التى رسموها لأنفسهم من قبل. وقد تبادل الجانبان العديد من الرسائل التى

---

<sup>(١٠)</sup> جاول ريتشارد فيلاجيورى ممثل الإمبراطور فريديريك فى الشرق ضرب الحزب المعارض للإمبراطور الذى كان يتزعمه باليان دي إبلين سيد بيروت بعضهم البعض واستماله بعضهم إلى تأييد السلطة مع يوحنا فالان John Vallian ووليم دي كونش William de Conches اللذين انشقا عن حزب الإبلين وكلفهما بالعمل على جذب نبلأ آخرين لحزب الإمبراطور، ولما علم ريتشارد فيلاجيورى بقدم سيد بيروت وأمااره انسحب على لقفور إلى صور. وللمزيد انظر:

Amadi, Op. Cit., pp. 188-89; Philip of Novar, Op. Cit., pp. 171-73; Annales de Terre Sainte, p. 441.

Amadi, Op. Cit., p. 188.

(١١)

(١٢) صالح بن يحيى: المصدر السابق، ص ٩٨، ٨٦، انظر أيضاً:

Clermont, Op. Cit., p. 21, n. 1.

تحمل في طياتها أخبار الفرنج المخاورين في صيدا وبروت ورد السلطات  
الملوكية على ذلك بالشكر والتقدير والحث على مداومة المراسلات  
بينهما، ومن أمثلة ذلك الخطاب الذي أرسله السلطان بيبرس إلى جمال  
الدين حجيّ وزين الدين بن علي<sup>(٦٣)</sup> يشكرهما فيه على حسن تعاونهما  
معه وإطلاعه على أخبار العدو "ويطلب منهما أن يستمرا على ذلك ويهتما  
به وليطيب قلبهما وليشرحا صدرهما فسوف يجنيان وأخاهما ثمرة  
خدماتهما ومجهودهما وليطالعا بالأخبار والمتحذرات والله يرفقهما"<sup>(٦٤)</sup>.  
وهناك أيضًا خطاب من أقرش النجيبى -نائب الشام- عن السلطان بيبرس  
إلى الأمير جمال الدين حجيّ يطلب منه ضرورة جمع العساكر التي لديه  
وتوجيهها إلى مدينة صيدا<sup>(٦٥)</sup>، مما يعكس لنا مدى التعاون الحقيقي بين  
الجانبيين.

أدرك الصليبيون عظم الخطر الذي يأتي من جراء ما يتقله  
البحريون من معلومات عنهم للسلطات الملوكية وإطلاعهم على ما يجري  
داخل بلادهم مما يتيح للماليك فرصة أكبر للتعرف على أحوالهم وما يجري  
بينهم، لذا فقد حاول جوليان Julien سيد صيدا الصليبي<sup>(٦٦)</sup> ١٢٣٩-

<sup>(٦٣)</sup> كان معاصرًا لجمال الدين حجيّ وأخيه سعد الدين خضر ولدى نجم الدين محمد بن جمال الدين  
حجيّ بن كرامة، وهو ابن عم جدهما وكان من أشجع أهل زمانه وأشدهم بأسًا، وكان أكرم وأوفى  
مروءة. ولزهد من التفاصيل عن شخصيته راجع: صالح بن يحيى: المصدر السابق، ص ٧٢-٧٣،  
٩٢-٩٣. راجع أيضًا جدول نسب بني بخت في آخر البحث.

<sup>(٦٤)</sup> راجع نص هذا الخطاب في: صالح بن يحيى: المصدر السابق، ص ٩٧-٩٨، انظر أيضًا:  
Clermont, op. Cit., p. 21.

<sup>(٦٥)</sup> راجع أيضًا نص هذا الخطاب في: صالح بن يحيى: المصدر السابق، ص ٩٦-٩٧، انظر أيضًا:  
Clermont, Op. Cit., p. 21.

<sup>(٦٦)</sup> هو ابن باليان حارثيه وآخر بارونات صيدا، وكان فارسًا شجاعًا ثقيل الوزن، وكان مشهورًا  
بجه الشديد للنساء والقامرة، وتنازل عن حكم بارونية صيدا للداوية سدادًا لديونه المراكمة عليه سنة  
١٢٦١م/٦٦٠هـ. ولزهد من التفاصيل عن ذلك انظر:

Les Gestes des Chiprois, cf. R.H.C. Doc. Arm., T. II, p. 775.

انظر أيضًا: أسامة زكي زهد للرجع السابق، ص ٢٢٥-٢٢٦.

١٢٦١م/٦٣٧-٦٥٩هـ ثنى البحتريين عن الاستمرار بالقيام بهذا الدور عن طريق إغرائهم بالمنح والوعود الكثيرة التى يسيل لها لعابهم، فنذكر الرواية العربية أن جوليان قام بمنح الأمير جمال الدين حجى بن نجم الدين محمد بن حجى<sup>(٦٧)</sup> ضيعة بقرية الدامور التى على الساحل لتكون ملكاً له ولولده ولن يقوم مقامه على أن يكف الأمير عن نقل أخبارهم إلى السلطات المملوكية<sup>(٦٨)</sup>، مما يعكس لنا خطورة الدور الذى كان يلعبه البحتريون على مسرح الأحداث السياسية إبان تلك الفترة.

وانطلاقاً من تلك السياسة التى رسمها البحتريون لأنفسهم فقد عملوا جهد استطاعتهم على الإبقاء على علاقات ودية مع الصليبيين والماليك على حد سواء ولم يشرعوا فى القيام بأى عمل قبل أن يروا فيه أنه يمشى ومصالحتهم الشخصية؛ لذا لم يمنعهم قبولهم لمنحة جوليان سيداً وما تعهلوا به له من أن يحافظوا على علاقاتهم الودية مع السلطات المملوكية واستمروا ينقلون إليهم أخبار الفرنج المجاورين لهم، ومن أمثلة ذلك الخطاب الذى أرسله جمال الدين حجى إلى السلطان بيبرس بأمر زواج ملك قبرص<sup>(٦٩)</sup> من ابنة سيد بيروت<sup>(٧٠)</sup>، وامتنان السلطان بيبرس بتعاون

<sup>(٦٧)</sup> هو الأمير جمال الدين حجى بن نجم الدين محمد بن حجى، ولد سنة ١٢٣٦م/٦٣٣هـ، وتوفى سنة ١٢٩٨م/٦٩٧هـ. ولزيد من التفاصيل عنه انظر: صالح بن يحيى: المصدر السابق، ص ٨٠-٨١.

<sup>(٦٨)</sup> صالح بن يحيى: للمصدر السابق، ص ٨٣-٨٤. انظر أيضاً:

Jean Richard, Op. Cit., p. 396; Lammens, Op. Cit., p. 11.

<sup>(٦٩)</sup> هو هيو الثانى لوزيمبان ١٢٦١-١٢٦٧م/٦٦٠-٦٦٦هـ. ولزيد من التفاصيل عن شخصيته وحياته انظر:

Makhairas, Recital Concerning the Sweet Land of Cyprus entitled "Chroniacle". Edited with a translation and notes by R.M. Dawkins, Vol. I, Oxford, 1932, p. 43; Du Cange, Les Familles d'Out-mer, p. 235; cf. also Grousset, Op. Cit., Vol. 111, p. 665.

<sup>(٧٠)</sup> هى الأميرة إيزابيل ابنة يو حنا الثانى سيد بيروت، وقد ورثت الإقطاعية بعد موت أبيها سنة ١٢٦٤م/٦٦٢هـ لأنه لم يعقب ذكوراً، وقد عرفتها المصادر العربية باسم "الدبونة" ربما تحريفاً لبيت إيلين. ولزيد من التفاصيل انظر: ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك، تحقيق الدول والملوك، تحقيق قسطنطين زريق، المطبعة الأمريكية بيروت، ١٩٤٢م، ج ٧، ص ٣٥.

البحريين معه وشكرهم على ذلك<sup>(٧١)</sup>، وأخبرهم أنه كان على علم مسبق بهذا الأمر.

استمرت العلاقات البحرية الصليبية قائمة لم تنفصم عراها رغم أن ميزان القوى في تلك الفترة كان يميل بوضوح لصالح الجبهة الإسلامية، فذكرت المصادر العربية أن الأمير زيد الدين وجمال الدين حجي وأخوه سعد الدين خضر<sup>(٧٢)</sup> قد أرسلوا رسالة إلى بوهمند السادس ١٢٥٢-١٢٦٨م/ ٦٤٩-٦٦٦هـ أمير طرابلس يظهر له فيها الود، وبادلهم نفس هذه المشاعر في رده عليهم<sup>(٧٣)</sup>. ولسوء طالع البحريين وقع خطاب بوهمند السادس بطريقة أو بأخرى في يد السلطان بيبرس الذي تميز من الغيظ وأمر على الفور بالقبض على هؤلاء الأمراء الثلاثة فحبس زين الدين ابن علي في سجن مصر، وجمال الدين حجي في الكرك، وأخاه سعد الدين خضر بقلعة عجلون، ثم جمع الثلاثة بعد ذلك في سجن مصر ١٢٧١م/ ٦٧٠هـ. ولم تجدد مع بيبرس شفاعة الشافعين فيهم وأقسم أنه لن يطلق سراحهم إلا بعدما يفتح طرابلس وصيدا وبيروت، ومع ذلك لم يتزعج عنهم إقطاعاتهم أو يجردهم من ملكهم<sup>(٧٤)</sup>.

<sup>(٧١)</sup> صالح بن يحيى: المصدر السابق، ص ٨٣. انظر أيضاً:

Clermont, Op. Cit., p. 3.

<sup>(٧٢)</sup> سعد الدين محضر بن محمد هو شقيق جمال الدين حجي، كان رجلاً جليل القدر مكرم بالخيال والصيد، ولد في رجب سنة ٦٣٩هـ وتوفي في ذي القعدة سنة ٧١٣هـ. ولزيد من التفاصيل عن شخصيته راجع: صالح بن يحيى: المصدر السابق، ص ٨٧-٩٠.

<sup>(٧٣)</sup> صالح بن يحيى: المصدر السابق، ص ٩٨. انظر أيضاً:

Clermont, Op. Cit., p. 21.

<sup>(٧٤)</sup> المحمدي بالذكر أن الأمير بدر الدين يلبك الخازنदार نائب السلطنة هو الذي حاول إقناع السلطان بيبرس بالإفراج عن الأمراء البحريين، إلا أنه فشل في ذلك. انظر: صالح بن يحيى: المصدر السابق، ص ٩٨، ٩٩، ابن سباط: المصدر السابق، ص ٥٦٨. انظر أيضاً:

Jean Richard, Op. Cit., p. 397; Claud Cahen, Op. Cit., p. 244.

ويستشف من إقدام بيبرس على سجن الأمراء البحريين مع عدم انتزاع إقطاعهم وتجريدهم من أملاكهم أنه لم يكن على يقين تام من تورطهم في هذا العمل، ورغم أن المؤرخ صالح بن يحيى بنفسه عن أسلافه تلك التهمة ويذكر أنها كانت مجرد مكيدة دبرها تقي الدين نجى ابن أبى الجيش الذى يضرر الحقد والحسد للبحريين بسبب ما وصلوا إليه من منزلة ومكانة<sup>(٧٥)</sup>. إلا أن الباحث يتشكك في ذلك، فلو سلمنا أن الرسالة التى أرسلها الأمراء البحريون قد زورها تقي الدين نجى كما ذكر صالح بن يحيى فإن رد بوهمند السادس من غير شك لم يكن مزوراً، وأنه كان يعرف هؤلاء الأمراء ومكائهم؛ بل دليل أنه أرسل الرد على خطابهم ولم يطلعنا على فحواه صالح بن يحيى لحاجة فى نفسه، وإذا قيل إن هؤلاء الأمراء قد بلغوا من الشهرة والمكانة العالية ما جعل بوهمند السادس وغيره من الصليبيين على دراية بمكائهم نشير إلى أن هناك قرائن سابقة على هذا الحدث ولا حقة له تعزز ما ذهب إليه الباحث. فعندما استولى التتار على دمشق ١٢٦٠م/ ٦٥٨هـ أسرع الأمير جمال الدين حجي بن محمد إليهم لخطب ودهم وتبعه ابن أخيه الأمير زين الدين بن علي، ولما بلغهما نبأ خروج القوات المصرية تحت قيادة قطز تشاورا فى الأمر واتفقا على أن يتوجه زين الدين إلى المعسكر المصرى ويقوم جمال الدين عند التتار بدمشق، حتى إذا انتصر أحد الفريقين سد المنتصر حلة رفيقه. وقد أهلى زين الدين على بلاء حسناً فى معركة عين جالوت مما جعل قطز يقبل الشفاعة فيه<sup>(٧٦)</sup>. أما بالنسبة للأمير جمال الدين حجي بن محمد فلم يذكر صالح بن يحيى الذى أورد هذه الرواية موقف قطز منه، ولعل مقتل الأخير بعد معركة عين جالوت بوقت قصير

<sup>(٧٥)</sup> هو أحد أفراد قبيلة أبى الجيش التى اشتهرت بعناوتها للبحريين، عن ذلك انظر: صالح بن يحيى: المصدر السابق، ص ١٠٢-١٠٣، انظر أيضاً:

Jean Richard, Op. Cit., p. 396.

<sup>(٧٦)</sup> صالح بن يحيى: المصدر السابق، ص ٩٣-٩٤، ابن سباط: المصدر السابق، ص ٥٦٧، انظر أيضاً: Jean Richard, Op. Cit., Loc. Cit.; Lammens, Op. Cit., p. 12.

وانشغال خليفته بيبرس بثبيت أقدامه فى حكم مصر فى أول الأمر هو الذى أدى إلى إهمال جانب الأمير جمال الدين، وهذا دليل دامغ على تورط البحرىين مع التار ضد المسلمين. والذى يتورط مع التار - ألد أعداء المسلمين - لا يتورع أن يقيم علاقات مع الصليبيين أيضاً، ويؤيد ذلك ما ذكره ابن سباط<sup>(٧٧)</sup>. "أن الملك الظاهر كان يحسب أن طم [البحرىين] اتفاقاً وعهوداً مع الإفرنج، فكان ينظر إلى الأمراء المذكورين بالعين الرفيعة ويخاف منهم"<sup>(٧٧)</sup>. وظل الأمراء الثلاثة فى مسجن بيبرس حتى وفاته ١٢٧٧م/ ٦٧٦هـ حيث أطلق ابنه السعيد بركة سراجهم فى نفس العام<sup>(٧٨)</sup>. ورغم المعاناة التى كابدها الأمراء البحرىيون خلال فترة الحبس من جراء اتصالمهم بالفرنج؛ إلا أنهم عاودهم الخنين مرة أخرى إلى اتباع سياستهم المعهودة فاتصلوا بالفرنج وتوطدت العلاقات بينهم من جديد، ويحير دليل على ذلك الاتفاق الذى تم بين همفرى أوف مونت فورت Humphrey of

<sup>(٧٧)</sup> ابن سباط: المصدر السابق، ص ٥٦٨.

<sup>(٧٨)</sup> صالح بن يحيى: المصدر السابق، ص ٩٨. انظر أيضاً:

Cifermont, Op. Cit., p. 21.

وليزيد من التماسيل من موت بيبرس وتولية ابنه السعيد بركة الحكيم راجع: ابن عبد الظاهر: تشرىف الأيام والنصور فى سيرة الملك للنصور، حققه د. مراد كامل، راجعه عماد على النجار، الناشر لشركة العربية للطباعة والنشر، ط١، القاهرة ١٩٦١م، ص ٤٣، الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر، الرياض ١٩٧٦م، ص ٢٧٣-٢٧٤، ابن شلاد: تاريخ الملك الظاهر، حتى ينشره أحمد حطيط، دار النشر: رفاتر شلاد، برفيادن، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ٢٢٣-٢٢٤، ابن حبيب: تذكرة لىيه فى أيام النصور وجيه، ج١، حوادث وتراجم ٦٧٨-٧٠٨هـ/١٢٧٩-١٣٠٨م، نشره وحققه ووضع حواشيه عماد محمد أمين، راجعه وقدم له سعيد عبد الفتاح حاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦م، ج١، ص ٤٨، بيبرس اللواتلر: التحفة الملوكة فى الدولة التركية، نشره وقدم له ووضع فهارسه د. عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ٩١، زينة النكرة فى تاريخ أهل المعرة، ج٩، تحقيق زيدة عماد عطا، القاهرة بدون تاريخ، ج٩، ص ١٤١-١٤٢.

Montfort سيد بيروت<sup>(٧٧)</sup> والأمير زين الدين بن علي سنة ١٢٨٠م/ ٦٧٩هـ، فذكر صالح بن يحيى أن سيد بيروت قام بمنح الأمير زين الدين بن علي ضيعة في بلاد بيروت بشرط ألا يبيعها أو يهبها، وإذا ما فعل ذلك رجع عن هبته، وفي مقابل ذلك تعهد الأمير زين الدين بن علي بعدم إيذاء الجرمين اللاتحين إليه من بيروت وألا يمكنهم من البقاء في إقطاعه أكثر من ثمانية أيام ويردهم صلحاً أو قسراً، كما تعهد بمنح المتصلين إلى بلاد بيروت للوصول إليها والإفساد فيها<sup>(٧٨)</sup>.

وذكر صالح بن يحيى أن كاتب هذه الوثيقة هو "جورج بن يعقوب" كاتب القلعة "والكتاب في رق وفي أذناه ختم في شمع أحمر خيال بفرسه ورمحه وترسه وهو رنك صاحب بيروت ودائر الختم كتابة بالإنجليزية في أصل الختم"<sup>(٧٩)</sup>. ولعل المقصود بالقلعة هنا قلعة بيروت التي يدير منها سيد بيروت شؤون إقطاعه. ويستشف من اسم كاتب الوثيقة أنه مسيحي من أصل عربي، ولعله كان يعمل في خدمة الأمراء الصليبيين ببيروت الذين استعانوا به وبأمثاله فيما يختص بالتعاملات العربية.

وهناك تساؤل يطرح نفسه ألا وهو: هل البنود التي أوردها صالح بن يحيى تمثل ترجمة عربية لتلك الوثيقة أم هي نسخة طبق الأصل من الوثيقة اللاتينية كتبت باللغة العربية في نفس الوقت؟ الواقع أن هذين الاحتمالين واردان لكننا نميل إلى الاحتمال الأخير على اعتبار أن كاتب هذه الوثيقة

<sup>(٧٧)</sup> هنري أوف موت فورت هو الابن الثاني لفيليب أوف مونتفورت سيد صور الذي تزوج من الأميرة إشف Eschive سيدة بيروت والتي ورثت الحكم بعد موت أختها الكبرى ليزابيل، وقد مات عام ١٢٨٤م/٦٨٣هـ. لمزيد من التفاصيل عن شخصيته انظر:

Du Cange, op. Cit., p. 236.

<sup>(٧٨)</sup> Clermont, Op. Cit., p. 5, 11-12; cf. also. Jean Richard, Op. Cit., pp. 396-97;

<sup>(٧٩)</sup> Praver, Crusader Institutions, Oxford, 1980, p. 206.

ولمزيد من التفاصيل عن بنود هذه المعاهدة، راجع: صالح بن يحيى: المصدر السابق، ص ١١١.

<sup>(٨٠)</sup> صالح بن يحيى: المصدر السابق، ص ١١٢.

مسيحي من اصل عربي، وما انه كتب نص الوثيقة باللاتينية فمن اليسر عليه أن يكتب نسخة أخرى لنفس الوثيقة باللغة العربية، ومهما يكن من أمر فإن صالح بن يحيى أورد لنا كل هذه التفاصيل الهامة دون تعليق منه ودون أن يدري أنه بذلك يثبت تورط البحريين في علاقاتهم مع الصليبيين وبذلك يضيف لنا دليلاً آخر على صدق ما ذهب إليه الباحث فيما يتعلق بهذا الصدد.

يبدو أن العلاقات الصليبية البحرية قد توطدت أكثر فأكثر، إذ ذكر صالح بن يحيى أن ملك قبرص أهدى الأمير سعد الدين خضمر هدية عبارة عن مجموعة من الطيور الجوارح نظراً لشغف الأمير بتربية هذه الطيور واللعب بها. والعجيب أن المؤرخ نفسه يشير إلى أنه يرجح أن يكون سيد بيروت هو الذي أهدى هذه الطيور وليس ملك قبرص<sup>(٨٢)</sup>، والباحث يتفق مع رأى صالح بن يحيى في ذلك؛ نظراً لمناخه أملاك البحريين لبيروت من جهة، والعلاقات الودية التي ارتبطت بينهما من جهة أخرى. وهذا دليل آخر يضاف إلى غيره من الأدلة السابقة على طبيعة العلاقات الصليبية البحرية في ذلك الوقت.

وفي أغسطس ١٢٨٣م/ جماد أول ٦٨٢هـ انتهز البحريون فرصة مرور القوات البرية لحيو الثالث ملك قبرص<sup>(٨٣)</sup> -بالقرب من ممتلكاتهم-

<sup>(٨٢)</sup> صالح بن يحيى: المصدر السابق، ص ٨٨، انظر أيضاً:

Clermont, op. Cit., p. 23.

<sup>(٨٣)</sup> من المعروف أن الملك هيو الثالث ملك قبرص تزوج ملكاً هنلي مملكة بيت المقدس الاسمية ١٢٦٩م/ ٦٦٨هـ، وبعد فشله في التوفيق بين نبلاء المملكة وعدم قهرته على القبض على زمام الأمور، ترك للملكة دون أن يعين نائباً عنه وعناد إلى قبرص ١٢٧٦م/ ٦٧٥هـ، واكتفى بإرسال خطاب إلى نوابها جريجوري العاشر شرح فيه أوضاع المنطقة المرجحة، مما أتاح لشارل الأنجوي أن يطالب بتاج المملكة بوصفه وريث الإمبراطور فرديريك الثاني في صقلية. وفي ١٢٨٣م حاول الملك هيو الثالث استعادة نفوذه السابق في مملكة بيت المقدس من الملك شارل الأنجوي فغادر قبرص على رأس نخلة عسكرية متوجهاً إلى حكا، إلا أن الرياح ساقته إلى بيروت فنزل بها في أول أغسطس-

يتوجهة إلى بيروت صوب صور وقاموا بالإغارة عليها وقتلوا منهم أعداداً كبيرة وأسروا ثمانين رجلاً، فضلاً عن غنائم كثيرة أخرى<sup>(٨٤)</sup>. وما قام به البحريون من هجوم على القوات القيرصية لم يكن له أثر سلبي على صليبي صيدا وبيروت؛ نظراً لأن هذا الهجوم لم يكن موجهاً ضدهم وإنما كان موجهاً ضد القبارصة؛ لذا فقد استمرت العلاقات بينهما على صفائها السابق.

لم تقتصر علاقة البحريين على فرنج صيدا وبيروت المجاورين لهم فحسب، بل تخطت ذلك إلى فرنج عكا أيضاً. فيذكر ابن سباط أن الرسائل تبودلت بين البحريين من جهة، وفرنج صيدا وعكا من جهة أخرى في نفس هذا العام ١٢٨٣م/٦٨٢هـ<sup>(٨٥)</sup>. وعلى الرغم من أن صالح بن يحيى يذكر أن هذه الخطابات قد زورها أيضاً تقى الدين نجما بن أبي الجليش نكاية في البحريين لما حظوه من مكانة عالية<sup>(٨٦)</sup>، إلا أن الباحث يتشكك في صدق تلك الرواية أيضاً، والدليل على ذلك أن العلاقات البحرية المملوكية في عهد السلطان المنصور قلاوون ١٢٧٩-١٢٨٩م/٦٧٨-٦٨٨هـ قد شهدت توتراً كبيراً وخطيراً، فلم يكن موقف المنصور

---

١٢٨٣م/الرابع من جمادى الأولى ٦٨٢هـ حيث استقبله سيدها همفري دي مونفور بالحفاوة والتكريم، يد أن الملك هير لم يمكث طويلاً في بيروت فأبحر إلى صور بينما رحف جيشه برماً للحاق به فعرض للهزيمة على أيدي البحريين، بينما فشل للملك هير نفسه في الوصول إلى عكا بسبب معارضة أهلها، خاصة الداوية، فمات كملًا في نفس العام.

انظر: ييوس اللوادار: المصدر السابق، ص ٢١٨، ابن عبد الظاهر: تشریف الأيام، ص ٥٨، انظر أيضاً: سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج ٢، القاهرة ١٩٣٦م، ج ٢، ص ١١٥٩-٦٠.

<sup>(٨٤)</sup> ابن الفرات: المصدر السابق، ج ٧، ص ٢٧٧، المقرئ: المصدر السابق، ج ١، ق ٣، ص ٧١٦، ييوس اللوادار: المصدر السابق، ج ٩، ص ٢١٨، ابن عبد الظاهر: المصدر السابق، ص ٤٧-٤٨، انظر أيضاً:

Amadi, Op. Cit., pp. 214-15.

<sup>(٨٥)</sup> ابن سباط: المصدر السابق، ص ٥٦٩، الشنباقي: المرجع السابق، ص ٢٢٩. انظر أيضاً: Clermont, op. Cit., p. 23.

<sup>(٨٦)</sup> صالح بن يحيى: المصدر السابق، ص ١٠٨.

قلاوون حبال البحريين كسلفه بييرس، بل كان أشد منه وأعتف؛ إذ قام بتجريد هؤلاء الأمراء من ممتلكاتهم وجعلها للحلقة الطرابلسية<sup>(٨٧)</sup> ١٢٨٩م/٦٨٨هـ<sup>(٨٨)</sup>، ولا نستبعد قيامه بإلقاء القبض عليهم وسجنهم، وإن كان صالح بن يحيى بنفى سجن الأمراء البحريين مرة أخرى على عهد المنصور قلاوون.

أخذت النكبات تترى على البحريين، فاستغل فرنج بيروت ما لحق بأمراء البحريين من ضرر على يدى المنصور قلاوون وقاموا عام ١٢٩١م/٦٩٠هـ بالإغارة على بلادهم. وقد تمكن جى Guy سيد بيروت<sup>(٨٩)</sup> من الإيقاع بهم وقتل عددًا كبيرًا منهم غدراً<sup>(٩٠)</sup>، ولعله قد قام بفعلته تلك كعمل وقائى حتى لا يقدم البحريون على مد يد العون للأشرف خليل ١٢٨٩-١٢٩٣م/٦٨٨-٦٩٢هـ إذا ما أراد استعادة بيروت، لمعرفةهم التامة بجنابيا المنطقة ودروبها وإطلاعهم على عورات البلاد. وهكذا جنى البحريون عقاباً سياستهم المزروجة تجاه الصليبيين والمسلمين على حد سواء.

<sup>(٨٧)</sup> جند الحلقة كان عدتهم أربعة وعشرين ألف جندياً، كل ألف منهم مضاف إلى أحد الأمراء مقدمى الألف، وكل مائة من الألف لهم باش وقيب، ومنهم من هو بحرى يركز بالقلعة، ومنهم من يركز فى غيبة السلطان بمراكز معينة بمصر والقاهرة، ومنهم من يتوجه فى المهمات للتشريفية، انظر: ابن شاهين الظاهري: للمصدر السابق، ص ١١٦.

<sup>(٨٨)</sup> صالح بن يحيى: للمصدر السابق، ص ١٠٨، انظر أيضاً:

Lammens, Op. Cit., p. 12.

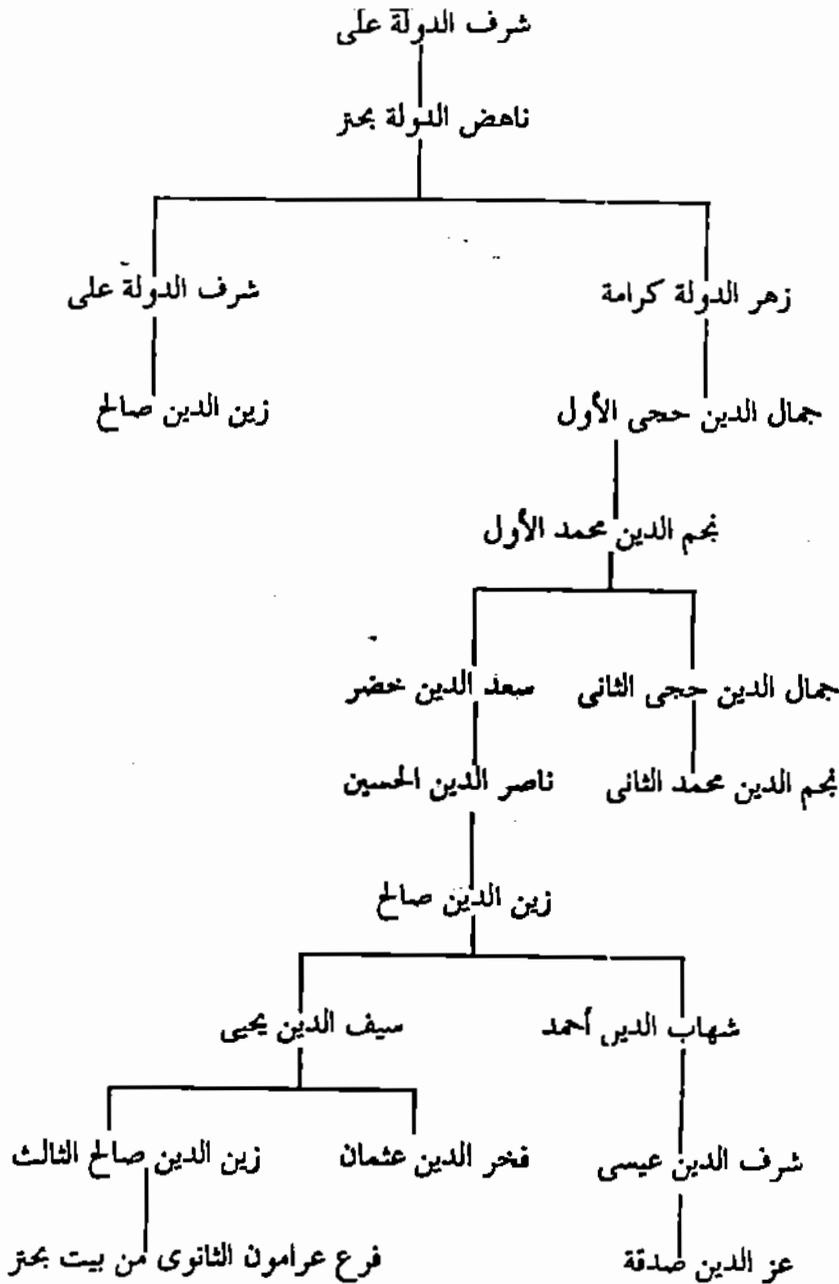
ولزيد من التفاصيل عن فتح قلاوون لطرابلس انظر: أبو الفداء: للمصدر السابق، ج٤، ص ٢٢، شافع بن على: المصدر السابق، ص ١٣٤-١٣٥، للقريزى: للمصدر السابق، ج١، ص ٢٣، ص ٢٤٦، الحنبلى: شفاء القلوب، ص ٤٥٦.

<sup>(٨٩)</sup> جى هو ابن الملك هو الثالث، وقد تزوج من إشييف بعد موت زوجها الأول همفرى أوف مونت فورت، انظر:

Du Cange, Op. Cit., p. 236.

<sup>(٩٠)</sup> الحريرى: الإعلام والتبين فى خروج الفرنج للاميين على بلاد المسلمين، دار الدعوة، الإسكندرية ١٩٨٤م، ص ٢٢.

## جدول نسب بنى بختر



نقلاً عن:

صالح بن يحيى: المصدر السابق، ص ٦٤.

## المختصرات الواردة بالبحث

- A.O.L. Les Arhives de l'Orient Latin.
- J.A. Journal Asiatique.
- R.A.O. Recueil d'Archéologie Orientale.
- R.H.C.,Doc. Arm. Recueil des Historiens des  
Croisades, Document Armeniens
- R.H.C., H.Occ. Recueil des Historiens des  
Croisades, Historiens Occidentaux
- R.H.G.F. Recueil des Historiens de Gaule et  
de France.

## أولاً: المصادر الأجنبية

### -Albert d'Aix:

Historia Hierosolymitana, Ed. R.H.C., H.Occ, T. IV,  
Paris 1879. pp. 265-713.

### - Amadi, F., Diomedes, S.:

Chroniques d'Amadi et de Strambaldi, Ed. Mas  
Latrie R., Histoire Politique, Paris, 1891-1893.

### - Annales de Terre Sainte, (1095-1291)

Publiées par R. Rohericht et G. Raynaud, im  
(A.O.L.), T. II

### - Clermont Ganneau:

Deux chartes des croisées dans des archives arabes,  
in R.A.O.,1905, Vol VI, pp. 1-30.

### - Du Cange:

Les Familles d'outre-mer, Publiées par M.E.G. Rey,  
Paris, 1869.

### - Eracles:

L'Histoire d'Eracles Empereur et de conquête de la  
terre d'outre-mer, Ed. R.H.C.,H.Occ, T. II, Paris,  
1839.

### - Fulcher of Charters:

A History of the expedition to Jerusalem, Trans. by  
Frances Ryan, Sisters of St. Joseph, edited with an

introduction by Harold's Fink, Konuville, U.S.A.,  
1969.

- Les Gestes des Chipriotes, cf. R.H.C. Doc. Arm., T II, Paris  
1869.

**-Makhairas:**

Recital concerning the sweet land of Cyprus entitled  
"Chronicle", edited with a translation and notes by  
R.M. Dawkins, Vol. I, Oxford, 1932.

**-Mattieu d'Edesse:**

Extraits de la chronique de Mattieu d'Edesse, Ed.  
R.H.C. Doc. Arm., Paris 1969.

**- Philip of Novare:**

The wars of Frederick II against the Ibelins in Syria  
and Cyprus, trans. by J. L. La Monte and M.J.  
Hubert, New York, 1936.

**-Richard of Cornwall:**

Letter to Baldwin of Rierers and Robert Clerk  
Rome, 1, July 1241 in Matthew, Paris, Vol I.

**-William of Nangi:**

Gesta Sanctae Memoriae Ludovici Regis, in  
R.H.G.F., Vol XX.

**- William of Tyre:**

A History of Deeds done beyond the sea, Trans. by  
Babcock and Krey, 2 vols, New York, 1943.

## ثانياً: المصادر العربية

١- ابن الأثير، (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م). أهر الحسن بن أبي الكرم الملقب  
عز الدين:

الكامل فى التاريخ، ٩ ج، دار الفكر، بيروت ١٣٩٨هـ /  
١٩٧٨م.

٢- ابن حبيب، (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) الحسن بن عمر بن الحسن بن  
عمر بن حبيب:

تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه، ج ١، حوادث وتراجم (٦٧٨-  
٧٠٨هـ / ١٢٧٩-١٣٠٨م)، نشره وحققه ووضع حواشيه محمد  
محمد أمين، راجعه وقدم له سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية  
العامة للكتاب ١٩٧٦م.

٣- ابن حزم، (ت ٤٥٦هـ) أبو محمد بن على بن سعيد بن حزم  
الأندلسى:

جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون،  
ط ٤، دار المعارف، بلون تاريخ.

٤- ابن خلدون، (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م) عبد الرحمن محمد المغربى:  
العبر وديوان المبتدأ والخير فى أيام العرب والعجم والبربر ومن  
عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، ٥م، بيروت ١٩٦٨م.

٥- ابن سباط، (غير معروف له تاريخ وفاة):  
صدق الأخبار فى نسبة آل تنوخ، نشر ضمن كتاب حيدر أحمد  
الشهابى (ص ٥٦٤-٦٠٥)

٦- ابن شاهين الظاهري، (ت ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م) غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري:

زبدة كشف المالك وبيان الطرق والمسالك، اعتنى بنشره وتصحيحه بولس راويس، مطبعة الجمهورية بباريس، ١٨٩٤م.

٧- ابن شداد، (ت ٦٣٢هـ / ١٢٣٩م) بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تيم:

النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق الدكتور جمال الدين الخيال، ط١، القاهرة ١٩٦٤م.

٨- ابن شداد، (ت ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م) عز الدين بن عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم:

تاريخ الملك الظاهر، عنى بنشره أحمد حظيط، دار النشر فراتر شتير، برفسيادن، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٩- ابن عبد الظاهر، (ت ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م) محي الدين:

تشریف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، حققه د. مراد كامل، راجعه محمد علي النجار، الناشر الشركة العربية للطباعة والنشر، ط١، القاهرة ١٩٦١م.

١٠- ابن الفرات، (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م) ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي:

تاريخ الدول والملوك، ٤م ١-٢، ٥م ١-٢، نشر حسن محمد الشماع، البصرة ١٩٦٧-١٩٧٠م.

١١- ابن القلاسي، (ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م) أبو يعلى حمزة بن غلى بن محمد:

تاريخ أبي يعلى حمزة القلانسي المعروف بذييل تاريخ دمشق،  
بيروت ١٩٠٨ م.

١٢- ابن واصل:

مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج١، تحقيق جمال الدين  
الشيال، القاهرة ١٩٦٠ م.

١٣- أبو شامة، (ت ٦٥٥ هـ / ١٢٦٧ م) شهاب الدين أبو محمد بن عبد  
الرحمن:

الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ٢ ج في مجلد  
واحد، نشره محمد حلمي محمد أحمد، القاهرة ١٩٥٦-١٩٦٢ م.

١٤- أبو الفداء، (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) إسماعيل بن علي محمود الملك  
المؤيد عماد الدين صاحب حماة:

المختصر في أخبار البشر، ٤ ج في مجلدين، بيروت، بدون تاريخ.

١٥- البغدادي، (ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م) صفى الدين عبد المؤمن بن عبد  
الحق البغدادي:

مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق وتعليق على  
محمد البحاروي، دار إحياء الكتب العربية، ط ١، ١٣٧٣ هـ /  
١٩٥٤ م.

١٦- البنداري، (ت ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م) الفتح بن علي:

سنا البرق الشمي، اختصار كتاب البرق الشامي للعماد الكاتب  
الأصفهاني، تحقيق د. فتحية البحاروي، القاهرة ١٩٧٩ م.

١٧- بيارس الدوادار، (ت ٧٢٥هـ / ١٣٢٥م) الأمير ركن الدين بيارس المنصوري:

١- التحفة الملوكية فى الدولة التركية، نشره وقدم له ووضع فهارسه د. عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

٢- زبدة الفكرة فى تاريخ أهل المحرة، ج٩، تحقيق زيدة محمد عطاء، القاهرة، بدون تاريخ.

١٨- الحريرى، (عاش فى القرن السابع الهجرى / القرن الثالث عشر الميلادى) أحمد بن على:

الإعلام والتبيين فى خروج الفرنج الملاعين على بلاد المسلمين، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٩٨٤م.

١٩- الحنبلى، (عاش فى القرن السابع الهجرى / القرن الثالث عشر الميلادى) أحمد بن إبراهيم:

شفاء القلوب فى تاريخ بنى أيوب، تحقيق قاسم رشيد، بغداد ١٩٧٩م.

٢٠- السويدى:

سبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

٢١- شافع بن على، (ت ٧٢٣هـ / ١٣٢٢م) شافع بن على بن عباس الكاتب:

حسن المناقب السرية المتزعة من السيرة الظاهرية، تحقيق ونشر عبد العزيز عبد الله الخويطر، جامعة الملك عبد العزيز، المكتبة المركزية، جدة، بدون تاريخ.

٢٢- صالح بن يحيى، (عاش فى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر  
الميلادى) الأمير صالح بن يحيى بن الحسين أمير الغرب:

كتاب تاريخ بيروت وأخبار الأمراء الباحثين من بنى الغرب، نشر  
وتعليق لويس شيخو، بيروت، فى المطبعة الكاثوليكية للآباء  
اليسوعيين، ١٨٩٨م.

### ٢٣- الطبرى:

تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٤، دار  
المعارف، ٢٠١٤م.

٢٤- القلقشندى، (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) أحمد بن على بن أحمد عبد  
الله:

صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء، ١٤ ج، المؤسسة المصرية العامة  
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٣م.

٢٥- المقرئى، (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٢م) تقى الدين أبو العباس أحمد:

السلوك لمعرفة دول الملوك، نشر محمد مصطفى زيادة، الجزء  
الأول، القسم الثالث، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر  
١٩٣٩م.

### ٢٦- مؤلف مجهول:

تتمة كتاب ويليم الصورى المنسوب خطأ لروتلان، ترجمة وتعليق  
أسامة زكى، مركز الدلتا للطباعة ١٩٨٩م.

٢٧- ياقوت الحموى، (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) شهاب الدين بن أبى عبد  
الله ياقوت بن عبد الله الحموى البغدادى:

معجم البلدان، ٥ ج، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت  
١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

## ثالثاً : المراجع العربية

- ١- أسامة زكى زيد (دكتور):  
صيदा ودورها فى الصراع الصليبي الإسلامى، الهيئة المصرية العامة  
للكتاب، فرع الإسكندرية ١٩٨١م.
- ٢- سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور):  
الحركة الصليبية، ٢ ج، القاهرة ١٩٣٦م.
- ٣- الشدياق، طنوس بن يوسف:  
أخبار الأعيان فى جبل لبنان، بيروت ١٨٥٩م.
- ٤- عمر رضا كحالة:  
معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ٢ ج، مؤسسة الرسالة، ط ٥،  
بيروت ١٩٨٠م.
- ٥- فيليب حتى:  
تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ٢ ج، دار الثقافة، بيروت ١٩٥٨م.
- ٦- لويس شيخو:  
بيروت تاريخها وآثارها، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٢٥م.
- ٧- محمد كرد على:  
خطط الشام، ج ١، ط ٣، دمشق ١٩٨٣م.
- ٨- محمد محمد فرحات:  
معاقل أعالي الفرات بين المسلمين والصليبيين، رسالة ماجستير لم  
تنشر بعد، الإسكندرية ١٩٨٨م.

## رابعاً : المراجع الأجنبية

- **Ammoun Blanche:**

Le Liban, Beirouth, Librairie du Liban 1968.

- **Cahen, C. :**

1- La Chronique de Kirtay et les Francs de Syrie, in J.A., Paris 1931.

2- La Syrie du Nord à l'époque des Croisades et la Principauté

Franque d'Antioche, Paris 1940.

- **Churchill:**

Mount Lebanon, 2 vols., London 1853.

- **Grousset, René:**

Histoire des Croisades et du Royaume Franc de Jerusalem, 3 vols., Paris 1948.

- **Lammens, H.:**

La Syrie, précis historique, 2 vols, Beyrouth 1921.

- **Nickerson, M.E.:**

The Seignery of Beirut in the twelfth century and the Brisebarré Family of Beirut-Blanche Garde, in Byzantion, 1949, pp. 141-185.

- **Prawer:**

Crusader Institutions, Oxford 1980

- **Rey, E.:**

Les Colonies franques de Syrie aux XI<sup>e</sup> et XIII<sup>e</sup> siècles, Paris 1883.

- **Richard, J. :**

The Latin Kingdom of Jerusalem, Trans. from French by Janet Shirley, 2 vols., Amsterdam 1919.

- **Smail, R.C.:**

Crusading warfare 1091-1193, London 1956.